

جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشؤون الإجتماعية بالجيزة

القيم الجمالية للتفكيكية في توظيف التراث العماني كمدخل لإنتاج أعمال فنية معاصرة

The Aesthetic Values of Deconstructivism as A Resource for Integrating Omani Heritage in the Production of Contemporary Works of Art

أيمن الصديق علي السمري
أستاذ التصوير المساعد – جامعة السلطان قابوس

بدر محمد المعمرى
أستاذ الخزف المشارك – جامعة السلطان قابوس

بردجيت بيك
Bridget Peak
باحثة منحة الفولبرايت الامريكية بقسم التربية الفنية – جامعة السلطان قابوس

الملخص

يعتمد هذا البحث على مفهوم التفكيكية كمدخل جمالي تربوي في تعليم التراث في قسم التربية الفنية بجامعة السلطان قابوس، من حيث طريقة التعامل مع الشكل والمعنى بتقنية تعتمد على توظيف مكونات الشكل التراثي بعد تفكيكها وتحليلها وإعادة صياغتها في قوالب وانساق مختلفة تشكليا وجماليا للوصول الي لغة الفن المعاصر اعتمادا على ابداعية تراثية. واستخدم البحث المنهج التجريبي في تفكيك العناصر التراثية وإعادة تجميعها. حيث يقوم الطلاب وعددهم (٤٢) طالب باختيار العنصر التراثي ورسمه بالرصاص ونسخه عشرون نسخة مع إمكانية تكبير وتصغير العناصر لنحصل بعد ذلك على مجموعة من الحلول التبادلية والتوافقية البصرية التي تبعد عن الشكل الأصلي لتصل به الي حدود الابداع. ويشتمل البحث على استبيان يوضح راي الطلاب في سبب اختيارهم للعنصر التراثي وما يمثله بالنسبة لهم وما هي مكانته في التراث العماني وما مدي استيعابهم لفكرة الاستفادة من التراث في ابداع اعمال فنية معاصرة. يعرض البحث تفسير وتعريف معنى التفكيكية ومفهومها كفلسفة معاصرة. يوضح البحث العلاقة بين التفكيكية والفنون البدائية. كما يوضح البحث رؤية سلطنة عمان ٢٠٤٠ والاهتمام بتحديث برامج ومناحي تعليم الفنون في السلطنة. ويعرض البحث نتاج التجربة التطبيقية، كما يذكر اهم النتائج والتوصيات لاستمرار واستثمار التجربة.

مقدمة:

يعد التراث العماني الثري والمليء بالعناصر ذات القيم الجمالية فخر للشعب العماني ومحل تقدير وتبجيل لما تركه الأجداد، وقد مارس الفنانين العمانيون أساليب فنية عديدة ومتنوعة نكاد نجزم انه لم يخلوا أي انتاج فني من تواجد عناصر فنية تراثية تمثل للفنان نوع من الشعور المقنع بالحفاظ على الهوية الوطنية. ومما لا شك فيه انه امر مشروع للفنان ان يمثل انتاجه الفني جزء من الهوية البصرية البيئية والمحلية. ولاحظ الباحثون التنوع الثري في عناصر ومفردات التراث الثقافي العماني في الحقب التاريخية المتعاقبة، كما لاحظوا تمسك العمانيون بتراثهم وهويتهم واعتزازهم بما يملكون. الا ان طلاب الفن والدارسين قد أصابهم ملل واضح من تناول الأشكال التراثية ورسمها بصورة نمطية وتلك هي المشكلة الأمر الذي دعا إلى استخدام الباحثون لطرق غير تقليدية في تدريس الفن التراثي ومنها التفكيكية وإعادة الصياغة في التعامل طريقة بناء الشكل البصري بصورته المعاصرة.

وتعرف التفكيكية على انها "نسق من التحليل، أو استراتيجية للتفكير، تأسست على يد الفيلسوف الفرنسي (من اصل جزائري) جاك دريدا، وسعى من خلالها إلى الكشف عما هو مُهمّش، أو غير واضح في النصوص الفلسفية الكلاسيكية، مُنذ الفلاسفة اليونان، وحتّى الفلاسفة المُعاصرين."¹ عبد الغني، فرح (٢٠٢١) والتفكيكية كما صاغها دريدا هي "أسلوب فهم العلاقة بين النص والمعنى حيث يهدف أسلوبه في اللغة الي ربط قراءات النص بما يناقض المعنى المقصود او

¹ : <https://mawdoo3.com>

(AmeSea Database – ae – July- 2023- 617)

الوحدة الهيكلية لنص معين وتهدف التفكيكية الي اظهار استخدام اللغة في نص ما ،واللغة ككل معقد وغير قابل للتبسيط، وغير مستقر، او مستحيل. فمن خلال قراءته، كان دريدا يأمل ان يظهر التفكيكية عمليا " ^٢ (Encyclopedia Britannica (٢٠١٧)

"ويمكن اعتبار التفكيكية مدرسة تفويض الحداثة، والثورة على التقاليد الحداثية للنصوص، وتشكك بكل ما تقوم عليه الأفكار، والسرديات الكبرى في تاريخ الفلسفة، بخاصة اللغة والنص، والسياق، والمؤلف، والقارئ، بهذا الشكل تظهر التفكيكية، كأنها هدم لقيم الحداثة وتختلف التفكيكية عن باقي مدارس الحداثة في القرن العشرين، في أنها تتبع استراتيجية معينة لتفكيك النص، من خلال قلب المفاهيم، فتقوم بتحريك الثابت، وتثبيت المتحرك، وينصب اهتمام التفكيكية على النصوص الأدبية، بكل أنواعها، فتحلل النصوص، وتكشف عن معانيها المختلفة، والمتناقضة، والمختلفة، وتلفت انتباه القارئ، إلى ضرورة التعرف على مواطن القلق في النصوص، وتستهدف التفكيكية بشكل عام القيم العقلانية التي تبنتها الفلسفات الحديثة، وتحاول كشف زيفها من خلال البحث فيما وراء المحسنات البديعية، والبلاغية، فالنص بالنسبة لهم، عبارة عن مجموعة من الشبكات، التي تتحد من خلال علاقات نصية، ودوال متعددة." ^٣ عبد الغني، فرح (٢٠٢١)

تم اختيار التفكيكية تحديدا كي تبني عليها مفاهيم البحث ومنهج التجريب في الجانب التطبيقي وفي الواقع ان التفكيكية اثرت بشكل كبير فور ظهورها على العديد من المجالات الإنسانية حيث " تشير العديد من المناظرات في الفلسفة القارية المحيطة بعلم الوجود، ونظرية المعرفة، وفلسفة الجمال، وعلم التأويل وفلسفة اللغة، تشير إلى ملاحظات دريدا. منذ الثمانينات، حيث ألهمت هذه الملاحظات سلسلة واسعة من المشاريع النظرية في الإنسانيات، بما في ذلك مجالات القانون والأخلاق وعلم التاريخ واللسانيات وعلم اللغات الاجتماعية والتحليل النفسي، والمدرسة النسوية الفكرية. ألهمت التفكيكية أيضا التفكيكية في العمارة وظلت هامة في الأدب والموسيقى والنقد الأدبي" ^٤ (Kandel, Jonathan (2004)

ويري البحث توظيف مفاهيم التفكيكية في الفن للحصول على ابداعات بصرية بطرق تشكيل مختلفة وغير نمطية في مجال الفنون. حيث تتماشى تلك الأفكار مع رؤية تطوير مناهج التعليم في سلطنة عمان التي تواكب العصر وتتنظر للمستقبل بتخطيط استراتيجي حتى ٢٠٤٠ وتدعو السلطنة من خلال تلك الرؤية المستقبلية الجميع الي العمل على تحقيق الاحلام وجعلها واقع حقيقي. لعمل تنمية مستدامة بالحفاظ على الهوية في مواجهة العولمة والتغيرات الخارجية. مع الاخذ بأسباب التطور والابتكار وتوظيف التكنولوجيا الحديثة وتطورها المستمر في مواكبة العصر.

² : <https://ar.wikipedia.org> > wiki

³ : <https://mawdoo3.com>

⁴ : <https://ar.wikipedia.org> > wiki

(AmeSea Database – ae – July- 2023- 617)

"وتلتزم سلطنة عمان التزاما كاملا بالحفاظ على التراث الثقافي بشكل عام، وتصديقها على اتفاقيات اليونسكو عن التجارة غير المشروعة في القطع الأثرية ودعم مشاريع أثرية محفوظة داخل السلطنة وخارجها، وحفظ الفنون واقتناء قطع أثرية من اليمن وسوريا في مختبر متطور في المتحف الوطني بسلطنة عمان، حيث تشتهر عمان بوعياها الفريد للحفاظ على التراث الثقافي من خلال تعليم التراث. كما أن عمان ملتزمة بشكل ثابت بالتعليم العام حول التراث. هذا الالتزام مكرس في السياسة القومية وينسب لرعاية المجتمع بالوعي الفريد عن تراثه." Sachedina, A. (2021)

"ومن اهم توجهات رؤية عمان ٢٠٤٠ رؤية الحكومة لمستقبل الدولة وتؤكد أهمية حفظ تراث وثقافة وهوية سلطنة عمان عن طريق التعليم. بشكل خاص، وتجاهد لتطوير نموذج التعليم القومي "بمناهج تعليمية معززة للقيم ومراعية لمبادئ الدين الإسلامي والهوية العمانية. ومستلهمة من تاريخ عمان وتراثها"^٦ Oman Vision (2040) كل ذلك يجعلها ضرورة قصوى لمواكبة التغيرات الضرورية السريعة التي تحدث في محيط العالم ومعرفة اللغة التي يتحدث بها الفن المعاصر.

توجه التعليم في سلطنة عمان:

وتطالب السياسات القومية بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار وتماشيا مع الرؤية المستقبلية لسلطنة عمان بطرح مناهج دراسية معاصرة تهتم بالتراث وتوثيقه والاستفادة من تفرده ومن هنا جاءت فكر البحث للإجابة على الأسئلة المطروحة حول التراث الفني والصناعات الإبداعية القائمة عليه فكرا وتطبيقا واستثمارا. ولكن دائما ومع كل تطور او تجديد تنشأ التساؤلات والتحفظات للحرص الزائد علي الأصول او التخوف من ضياع الهوية ويؤكد العديد من الباحثين على هذا الموضوع "بوجود توتر بين العولمة وتقدم التنمية من ناحية، وضرورة الحفاظ على هوية وتميز الفنانين في كل منطقة او بلد او في ناحية اخري"^٧ اليعاني، فخريه. (٢٠١٧). فمع ظهور أي حركات تنويرية ينقسم الجمهور بين مؤيد ومعارض ومتخوف وحريص، "فمثلا اقترح بعض المثقفين والفنانين ان العولمة تؤدي الي تآكل الهوية الثقافية المميزة في الفن"^٨ Abu-Zaid. (2013).

⁵: Sachedina, A. (2021, September 15). Cultivating the Past, Living the Modern: The Politics of Time in the Sultanate of Oman.

⁶: Oman Vision 2040 Implementation Follow-up Unit. (2020, December). Vision Document. In <https://www.oman2040.om/index-en.html>. Retrieved March 27, 2023, from <https://www.oman2040.om/assets/books/oman2040-en/index.html#p=20>

⁷: Al-Yahyai, F. (2017). The Significance of Museums to Fine Art Education in Oman. *Art and Design Review*, 05(03), 189–199. <https://doi.org/10.4236/adr.2017.53015>

⁸: Abu-Zaid. (2013). Contemporary Issues of Fine Arts in the Sultanate of Oman. In *The Omani Plastic arts: the reality of practices and approaches of experiments (Vol. 1)*. The Ministry of Heritage and Culture.

(AmeSea Database – ae – July- 2023- 617)

ومن وجهة نظر أخرى، "بعيدا عن تآكل الهويات الثقافية المميزة، من الممكن أن تجبر العولمة، من خلال وسائل اقتصادية او اجتماعية او غيرها تمسك الفنانين غير الغربيين بالهوية العرقية او الاجتماعية او الثقافية المفروضة عليهم بسلطات استعمارية ولا تخدم الناس أو مفهوم ثقافتهم الأصيلة"⁹. Meier. (2010).

ويري البعض أن "الحفاظ على التراث الثقافي والتعلم منه في الفن وجميع المجالات الأخرى يمكن ان يفيد بشكل ايجابي التنمية المستدامة في هذه المنطقة. وتظهر هذه الفكرة الهامة في رؤية عمان ٢٠٤٠ التي تسعى إلى استثمار مستدام للتراث والثقافة والفنون يسهم في نمو الاقتصاد الوطني"¹⁰

Oman Vision 2040

"ان حالة الافراد في البلدان المتقدمة متذبذبة بين مسايرة التطور والمحافظة على الهوية، بل وإنها حالة أصبح الفرد فيها في مهب الريح، بين مقارنته لقيمه ومبادئه التي تشكل هوية خاصة به مع قدراته وامكانياته، وبين الغزو الثقافي المحيط به من كل اتجاه، والذي اوجد عمومية في القيم والمبادئ الامر الذي جعل المفكرون ينظرون الي طريقتين لا ثالث لهما هل يتبع الفرد العولمة بما تحويه من تحولات اجتماعية غير مرغوبة؟ ام يحاول تلافيها؟ فيقع في هوة التخلف، ثم يأتي ليجيب على تساؤلاته بانه لا يمكن المزاجية فيما بين القيم المتدنية أخلاقيا والقيم الاقتصادية السائدة داخل المجتمعات الرأسمالية، لان المقاومة ورفض الأفكار التي لا تتسجم مع قيمنا. يتطلب منا إيجاد بدائل، وأفكار جديدة مؤسسة علي ارض الواقع، بالرغم حلول مقترحة لمواجهة مخاطر العولمة يتمثل في عدم الاستمرار في إضاعة الوقت في الحديث عن الغزو الثقافي دون تشجيع أصحاب الابداع لإيجاد بدائل تسد الفراغ الفكري والثقافي وتواجه الأفكار الوافدة إليهم"¹¹ ستولنيتز جيروم (٢٠٠٧)

وتشير عبلة حنفي في الدفاع عن الهوية الثقافية ضد مخاطر العولمة بان ذلك لا يأتي عن طريق الانغلاق على الذات ورفض الغير، فهذا من وجهة نظرها تصحيح خطأ بخطأ ومجموع الخطأين لا يكون صوابا، وانما يتأتى الدفاع عن الهوية أولا بإعادة بناء الموروث القديم بحيث تزال معوقاته وتستنفذ عوامل تقدمه، وكلا العنصران موجود في الثقافة، ويتم إعادة المورث القديم أيضا بتجديد لغته والالفاظ القطعية والالفاظ التشريعية الي لغة مفتوحة والفاظ طبيعية، وتغيير مستويات تحليله من المستوي الغيبي الي المستوي الحسي التحرري."¹² حنفي، عبلة (٢٠١٣)

⁹ : Meier. (2010). Authenticity and its Modernist Discontents: The Colonial Encounter and African and Middle Eastern Art History. The Arab Studies Journal, 18(1), 12–45. <https://www.jstor.org/stable/27934077>

¹⁰ : Oman Vision 2040 Implementation Follow-up Unit. (2020, December). Vision Document. In <https://www.oman2040.om/index-en.html>. Retrieved March 27, 2023, from <https://www.oman2040.om/assets/books/oman2040-en/index.html#p=20>

¹¹ ستولنيتز جيروم (٢٠٠٧) النقد الفني – ت فؤاد زكريا- دار الوفاء – القاهرة
¹² حنفي، عبلة (٢٠١٣) الفن التشكيلي العماني، واقع الممارسة ومداخل التجريب، الندوة التي اقامها المنتدى الادبي في محافظة مسقط بالتعاون مع الجمعية العمانية للفنون التشكيلية، مسقط، فبراير ٢٠١١

وكالعادة فان انتشار ظاهرة ثقافية وبصرية يروج لها تابعون كثر وبعد ان تصل تلك الظاهرة لحد التشابه فيما تطرح. تظهر في الأفق أصول ومنابع حافظ أصحابها على هويتهم الثقافية والمجتمعية، ليلهث وراءها مستهلكو الثقافات كما يحدث دائما.

الفن في سلطنة عمان والمعاصرة في الفن :

تعد سلطنة عمان من أقدم حضارات بلدان الخليج العربي، وتحتوي على تراكم حضاري وثقافي ضارب في القدم وتمتلك كذلك طبيعة جبلية وساحلية ومناخية خاصة جدا نتيجة موقعها الجغرافي الفريد. وتحفظ عمان بتاريخ من الفنون اليدوية من الخامات البيئية والمحلية مليء بالتنوع والثراء في جميع مجالات الفنون وإذا نظرنا الي الفن المعاصر نجد ان الحركة التشكيلية في سلطنة عمان مرت بعدة مراحل ومازالت تحت التطور المستمر، حيث بدأت علي ايدي فنانيين موهوبين ممارسين للفن محققين بدايات الطريق مثل الفنانون أنور سونيا و إبراهيم البكري و لال بخش البلوشي و حسن بن عيسى و رشيد عبد الرحمن وغيرهم، من الذين التزموا بمحاولات لمحاكات الواقع الأقرب للرؤية التسجيلية للبيئة المحيطة، ثم جيل لاحق سار في البداية علي نفس النهج ، ثم اتجهوا الي أساليب خاصة كالتجريدية والرمزية مثل الفنانون موسي عمر و نادرة محمود و حسين عبيد و سليم سخا و مريم الزدجالي. الي ان ظهر الجيل الحالي الذي يحمل قدرا من المرونة والثقافة البصرية المنفتحة على العالم المعاصر مثل الفنانون حسن مير وفخرية اليحيائية وبدور الريامي وعيسى المفرجي وسلمان الحجري. ومعظم فنانيين الجيل الحالي درسوا الفن بشكل أكاديمي وان تشارك جميع الفنانين العمانيين في توظيف التراث العماني في أعمالهم، ومع البحث في الحركة التشكيلية العمانية نجد ان حضور الفن المعاصر بمفاهيمه وافكاره ولغته مازال يحتاج أبحاث ودراسات كثيرة تجعل هناك رابط قوي بين ما تملكه سلطنة عمان من تراث وكيفية الاستفادة من اصالته وتقديره بلغة معاصرة يمارسها الفنانيين ليبتعدوا بتراثهم عن الفن النمطي المتداول بكثرة في تناول عناصر التراث والتاريخ. وترجع أسباب ندرة الفن المعاصر الي عدم وجود قاعات فنية او متاحف مخصصة للفن وبالطبع أثر ذلك بشكل أساسي على عدم وجود تسويق للأعمال الفنية التشكيلية ولا توجد كذلك أقلام نقدية تحلل وتفند المنتج البصري وتطرح على المجتمع العماني التطورات الفنية التي تحدث في العالم. وتؤكد ذلك فخرية اليحيائية انه "من المؤكد أن عدم وجود المؤسسات الفنية التشكيلية الخاصة، فلا يوجد سوي متحف الفن الوطني"^{١٣} اليحيائية، فخرية. (٢٠١٧)، ويرى البحث ان على مناهج تدريس الفنون ونقل المعرفة البصرية والتشكيلية دورا هاما في تعويض ذلك النقص الحاد في تواجد قاعات للفنون او متاحف متخصصة وذلك لزيادة مساحة الوعي لدي طلاب تعلم الفنون بما يدور حولهم، فيزداد حجم ومساحات التجارب المعاصرة في اعمال الطلاب بشكل احترافي وسيصبح المشهد التشكيلي اكثر ثراء مما يساهم في وفرة الصناعات الإبداعية وبالتالي، إلى سد الفجوات المتعددة في تعليم الفنون في عمان من خلال اختبار النجاح لمشروع فني يشمل كل من التراث والممارسة المعاصرة. من هنا نشأت التساؤلات عن كيفية الاستفادة من التراث العماني في تحقيق أفكار ومفاهيم الفنون المعاصرة ومعرفة التحدث بتلك اللغة.

^{١٣}اليحيائية، فخرية. (٢٠١٧). أهمية المتاحف لتعليم الفنون الجميلة في عمان. مراجعة الفن والتصميم، ٠٥ (٠٣)، ١٨٩-١٩٩ (AmeSea Database – ae – July- 2023- 617)

التفكيكية والبدائية والتراث وفنون ما بعد الحداثة:

ان تاريخ الإنسان مليء بتراكم ثقافي متنوع ومختلف ورغم ذلك مترابط بمسحة إنسانية رغم التباعد الجغرافي واختلاف اللغة والعقائد وهذا ما يضيف على ذلك التاريخ رونقا وبعدا جماليا لو نظرنا اليه بشكل بعيدا عن التحيز والتفضيل. ويقول فراس السواح في هذا الصدد، "إن وحدة التجربة الروحية للإنسان عبر الزمان واختلاف المكان، وإن كل دين ونظام ميثولوجي، ليس إلا قطعة ملونة صغيرة في فسيفساء بديعة زاخرة بالأجزاء التي تبدو مستقلة عن قرب، متوحدة عن بعد في نظام متكامل يعطى معنى لكل جزء من أجزاءه. ولذلك فإن جميع الحضارات الإنسانية نشأة معتمدة على مجموعة فلسفات متشابهة تعمل على إيجاد توازن إيجابي بين الإنسان وما يحيط به"^{١٤} السواح، فراس (١٩٩٣).

"وهذه الفلسفات بدورها خلفت لنا مجموعة من الفنون هي الأساس المعرفي لكل الحضارات القديمة، وهي كذلك القناة المعرفية الرئيسية للفنون البدائية، حيث أن الفن هو الذى خلد النشاط الإنساني عبر العصور، وبما أن الفن لم ينفصل عن شكل الحياة دوماً، بل يعد المرآة الى تعكس شكل ومفهوم تلك الحياة التي يعيشها أو كان يعيشها الإنسان منذ زمن بعيد."^{١٥} السمرى، ايمن (٢٠٠١).

يقول محسن عطية "إن الفن والحياة متداخلان بل يصب كل منهما الآخر، فلا يمكن فصلهما لأنهما يساندان بعضهما البعض منذ أن خلق الإنسان على هذا الكوكب، وإذا كان من الممكن تعريف الفن على أنه إبداع إنساني " فإن الإبداع والوعي بالتاريخ خاصيتان تميز الإنسان من بين الكائنات الأخرى، وتصبح وظيفة الفن أحيانا تحقيق " المتعة " البصرية، وقد كان للفن في الحياة دوراً منذ زمن ما قبل التاريخ في التزيين، عندما كسى إنسان العصر الحجري جسده برسوم سحرية من الألوان الترابية، وحتى يومنا هذا يمكن أن نصادف عشرات الزخارف في كل أشكال الفن"^{١٦} عطية، محسن (٢٠٠١).

ان الربط بين أي شكل منتهى واصول تكوينيه وتشكيله يقودنا الي تفكيك الشكل لعناصره الأولية ومصادر البصرية وما ترمز اليه تلك الزخارف والحروف واللغة. وتعد المعرفة هنا مصدر من مصادر الثقافة التي يعتمد عليها الفنان المعاصر اثناء ابداعه لعمل جديد. وإذا نظرنا الي الفنون البدائية لوجدنا قائمة على ثقافة " وان الثقافة البدائية تعتمد على ثلاث أساسيات هي:

- ١- النشاط الأيديولوجي السائد والمتمثل في "عبادة الأسلاف"
- ٢- الوحدة الاجتماعية السائدة والمتمثلة في "العائلة الكبيرة"
- ٣- النشاط الاقتصادي السائد والمتمثل في "الفلاحة المتنقلة"

^{١٤} السواح، فراس (١٩٩٣). لغز عشتار الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة، دار علاء الدين، دمشق، ص ١٠
^{١٥} السمرى، ايمن (٢٠٠١). المفاهيم الفلسفية والفنية للحضارات القديمة وارتباطها بفنون ما بعد الحداثة كمدخل للاستلهام في التصوير، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان ص ٢٧، "غير منشورة"

^{١٦} عطية، محسن (٢٠٠١). الفن والجمهور، دار الفكر العربي، القاهرة ص ١٣٧

وهذه الأساسيات أو الجوانب الثلاث هي جوانب المجتمع الرئيسية التي تؤثر بعضها في بعض هي جوهر الثقافة، وكل جانب منها جوهري في مستواه ومرتبطة وظيفيا بالجانبين الآخرين.

وإذا حكمنا على ثقافة كتلك بالتغير أو التطور، فإن المقصود أن الجوانب الجوهرية قد تغيرت أو تطورت مما يحدث قدراً كبيراً من التكامل في المجتمعات البدائية بين كل الأشكال الرئيسية للثقافة. فهناك تكامل بين الدين وبين البنية الاجتماعية، وتكامل بين التنظيم الاقتصادي والتكنولوجيا، وتكامل بين العناصر السحرية والفنون. كل هذه العناصر تتداخل فيما بينها بشكل دائري. فكل مظاهر السلوك تصب في نظام يسعى إلى تحقيق أقصى درجات التوازن.^{١٧} العويلي، أشرف (١٩٩٧)

إن الانفصال الذي أوجدته الحداثة بين الفن والتراث أو بين الفن والماضي عموماً اعتماداً على نظريات عديدة ساعدت على اتساع الفجوة والقطيعة للجنور، واعتقاداً بأن التحديث يعنى التغيير بل والتغيير المستمر للقديم. جعل ذلك شكل الفنون في فترة الحداثة في حالة قلق واضطراب مستمرين، بسبب البحث عن الجديد دائماً، الأمر الذي أهدر حقوق القيم، والجماليات، وأصبح للعدمية وفلسفاتها دوراً رائداً في بلورة شكل الفن.

"العدمية كمبدأ نادى به نيتشه Nietzsche، ويقصد بهذا المبدأ أن " لا قيمة للقيم " أي أن ما كان في العصور السالفة مبادئ راسخة ثابتة، ومثلاً علياً سامية صار مع مجيء عصر الحداثة عدماً أفقد القيم كل معنى أو حقيقة. وفي الواقع أن حركة التنوير قد سبقت نيتشه إلى تقرير مبدأ العدمية، وكان ذلك من خلال كشفها عن أساس المثل الدينية، والقيم الأخلاقية والمبادئ السياسية فعرتها وأبانت ثقافتها.^{١٨} الشيخ، محمد. الطائري، ياسر (١٩٩٦)

وبناء على هذا ظهرت بعد ذلك تيارات تدعو إلى العودة للجنور والأصالة، والبحث في القديم، والاستفادة من التراث الإنساني عموماً. "فلقد تبين أن فرص تعايش القديم مع الجديد أكبر مما كان متصوراً، فليس هناك ضرورة لتدمير الصناعة للحرف، والعلم للدين والطب للسحر، إذ يمكن للأشياء الجديدة أن توسع نطاق تلك الخيارات، إذ أن المشكلة ليست الاختيار بين التقاليد والحداثة بل الأخذ والنذب بين هذين القطبين^{١٩} الشيخ، محمد. الطائري، ياسر (١٩٩٦)

ولذلك كان لابد من ظهور جيل من الفلاسفة والفنانين الذين أرسوا قواعد فنون ما بعد الحداثة، والتي تحتوي كل أنواع الفنون في الحضارات القديمة والتراث باعتبار أن أي نشاط خلفه الإنسان يمكن له أن يتعايش مع بعضه البعض. كما يؤكد ذلك الناقد الإيطالي بونيتو اوليفا Bonito Oliva حيث يرى "أن انصهار الأشكال الأسطورية العفائية الرمزية، مع الأشكال الخاصة والعلاقات المرتبطة بتاريخ الفن والثقافة يصنع شكلاً خاصاً للفنان المعاصر يسهم في تشكيله كفنان مستقل،

^{١٧} العويلي، أشرف (١٩٩٧)، القيم الجمالية في الفن البدائي وعلاقتها بالتصوير المعاصر كمدخل لتدريس التصوير، "رسالة

دكتوراه"، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، غير منشورة، ص ٤١

^{١٨} الشيخ، محمد. الطائري، ياسر (١٩٩٦). مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، دار الطليعة، بيروت، ص ١٤

^{١٩} الشيخ، محمد. الطائري، ياسر (١٩٩٦). مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، دار الطليعة، بيروت، ص ١٥

وكذلك آراء رودلف أرنهيم Rudolf Arnhim وتحليله لأعمال بيكاسو Picasso قاده إلى أهمية البعد التاريخي والثقافي المعرفي وأن الفنون البصرية Visual Arts هي أساس للتفكير البصري. وقد عرض مقولة بيكاسو بعد زيارته لمتحف الإنسان ورؤيته لفن النحت الأفريقي، "لقد أدركت في هذه اللحظة ما يعنيه فن التصوير بشكل عام وماذا ينبغي أن أفعل". واكتشف بيكاسو Picasso فنا أسماه " الفن السببي " ويمكن أن نسميه الفن المفاهيمي Conceptual Art وهو رؤية المفاهيم العقلانية في الفن الأفريقي وأصبح الفن الإفريقي نموذجا أو مصدرا للإبداع والإلهام ومدخلا جديدا ذو مدلول ثقافي عقلائي للصورة²⁰ لمعي جمال (١٩٦٩)

واحتت فنون ما بعد الحداثة على أهمية التراث ونزعت الفواصل والحواجز الزمنية بين الحقب التاريخية وانطلق بعد ذلك الفن المعاصر بالبحث والتنقيب في الماضي رابطا الحاضر بجذوره وباعثا على احياء التراث بلغة معاصرة عن طريق التفكيكية ومبادئها في إعادة صياغة الشكل البصري لعناصر التراث وتوظيفها في ابداع اعمال فنية اصيلة.

مشكلة البحث:

وتتلخص مشكلة البحث في التساؤل التالي:
كيف يمكن الاستفادة من عناصر التراث العماني وتوظيفها في انتاج اعمال فنية معاصرة؟
مع طلاب قسم التربية الفنية – كلية التربية – جامعة السلطان قابوس

فرض البحث:

يمكن توظيف عناصر التراث الفني العماني في اعمال طلاب قسم التربية الفنية بجامعة السلطان قابوس للوصول لرؤية فنية تشكيلية وبصرية معاصرة.

منهجية البحث

اتبع البحث المنهج التجريبي حيث تم تطبيق التجربة على عينة البحث وهم طلاب قسم التربية الفنية بجامعة السلطان قابوس في مقرر تصوير حديث ومعاصر في فصل الخريف ٢٠٢٢ وعدددهم ٤٢ طالب تم تكليفهم بمشروع نهائي يعتمد بشكل أساسي على البحث في التراث العماني لاختيار عنصر أثري مميز من التاريخ يقوم الطالب برسم ذلك العنصر بالأقلام الرصاص ليتم نسخها وتقطيعها وإعادة تجميعها في صورة مجمعة مجردة مقاس ١٥٠x٨٤ سم.

جمال لمعي: التراث والتعددية الثقافية في فن ما بعد الحداثة، المؤتمر العلمي السابع، كلية التربية الفنية، جامعة حوان، ٢٠١٩.

تم عمل استبيان للطلاب لتحديد تصوراتهم حول نجاح المشروع في دمج التراث العماني في مشروع فني يعتمد على نظريات ومفاهيم الفن المعاصر. تمت ملاحظة الفصل الدراسي عبر قسمين على مدار فصل الخريف، وتضمنت محادثة غير رسمية مع الطلاب أثناء تقدمهم خلال مراحل المهمة. كان واضحاً من أن الطلاب عموماً لم يكونوا متحمسين لفكرة رسم عنصر من التراث العماني، كونه موضوع تم رسمه سابقاً مراراً، لكنهم بدأوا يقتنعوا بفكرة المشروع بمجرد البدء في قص ولصق وتفكيك مكونات العنصر وتفاصيله وإعادة صياغته على حجم المساحة الكلية للعمل. وشاع بين الطلاب طريقة الورشة التعليمية كما شاع التعاون بينهم بشكل كبير بعد متابعتهم لبعضهم البعض وهذا ما يسمي بالتعلم المكتسب على نطاق واسع، واستوحى الطلاب من متابعة زملائهم في تفكيك وإعادة تجميع تفاصيل أعمالهم الخاصة وسارت حالة من النشاط الابتكاري والعصف الذهني للأفكار.

وتم الاستبيان على النحو التالي:

تم تسجيل ٣٨ استجابة من أصل ٤٢ استمارة استبيان التي اشتملت على الأسئلة التالية:

- ١- ما هو العنصر الذي اخترته؟
 - ٢- ما هي أهمية هذا العنصر في التراث الثقافي العماني؟
 - ٣- ما هي أهمية هذا الشيء؟ لماذا اخترت ذلك؟
 - ٤- هل فهمت هدف المشروع بوضوح؟
 - ٥- ما هو الهدف من هذا المشروع؟
 - ٦- صف بالتفصيل الخطوات التي اتخذتها لتحويل رسمتك المختارة إلى تركيبة فنية معاصرة.
 - ٧- هل تعتقد أن هذا المشروع قد حقق الهدف المنشود؟
- كشفت الردود عن مجموعة متنوعة من القطع الأثرية العمانية المختارة، مع عناصر معينة من المجوهرات التقليدية، مثل البنجري وكذلك السمط كخيارات شائعة إلى جانب الدلة، أو وعاء القهوة، كخيار شائع آخر. اختار عدد قليل من الطلاب عناصر تراثية خاصة بمنطقةهم في عمان، مثل الدلة النزوانية أو منارة رأس الميل. ويشير تعدد العناصر المختارة إلى أن الطلاب لديهم بالفعل فهم لمدلول العنصر والذي يشكل تراثاً مادياً.
- أرجع معظم الطلاب أهمية العنصر إلى التراث العماني بعبارات عامة، حيث كتبوا عن وظيفة الشيء، مثل تجميل المرأة. والجدير بالذكر أن الإجابات على السؤالين الثاني والثالث كانت متشابهة، مما يشير إلى الاعتقاد الضمني بالتراث العماني باعتباره مهماً.
- أفاد معظم الطلاب باختيار عنصر ما بسبب صلته بالتراث العماني، وليس لدوافع خارجية مثل الارتباط الشخصي بالعنصر.
- أكد معظم الطلاب أنهم فهموا الهدف من المشروع، مع وجود عدد قليل جداً (٤) ذكروا أنهم غير متأكدين من بعض الجوانب.
- وصف جميع الطلاب القصد من المشروع بأنه فكرة مهمة تحويل عنصر من التراث الثقافي العماني إلى عمل فني معاصر، حتى تلك التي أبلغت عن بعض الالتباس في الغرض من المشروع.

- لم يرد أحد الطلاب على هذا السؤال. تفاوت مستوى التفاصيل الذي وصف فيه الطلاب خطوات المشروع، لكن الردود أظهرت تركيزاً على الخطوات الأخيرة للمشروع التي تم فيها نسخ الرسم الأصلي وقصه ولصقه.

- ذكر خمسة طلاب فقط حاجاتهم للبحث عن معلومات عن العنصر المختار للمشروع، مما يشير إلى أن التركيز الأكبر على البحث قبل اختيار عنصر من التراث العماني هو طريقة التفكير في توظيفه كفن معاصر. ولذلك، اعتقد الطلاب عمومًا أن المشروع قد حقق هدفه، باستثناء ثلاثة مشاركين ذكروا أن المشروع قد حقق هدفه إلى حد ما، وذكر أحدهم أنه حقق هدفه "بصعوبة"، واقترح أحدهم أن تنفيذ المشروع كان معقد في بعض النواحي.

النتائج:

قام الطلاب بالتعامل بحرية واضحة مع مستنسخات العمل الأصلي مم أتاح لهم فرصة كبيرة للتجريب من خلال الحذف والاضافة والقص واللصق والتكبير والتصغير لتفاصيل عناصر العمل ولذلك ظهر الابتكار في التراكيب والحوال من إعادة صياغة الشكل الأصلي كما أبدعوا في تفكيك العناصر التراثية العمانية التقليدية واعدوا تركيبها بطريقة معاصرة. يتضح هذا بشكل كبير في حالة المقارنة بين الأعمال الفنية للطلاب التي تستخدم نفس العناصر من التراث العماني، ولكنها تؤدي إلى تراكيب فنية معاصرة فردية للغاية من خلال تفعيل التفكير؛ هذا على الرغم من التعاون الواسع بين الطلاب الذي شوهد في الملاحظة الصفية. بالنظر إلى أن غالبية ردود الاستبيان تدعم فكرة أن المشروع قد حقق هدفه، فضلاً عن جودة وتنوع التكوينات النهائية، يبدو أن التدخل التربوي للتفكيك هو أداة مفيدة في دمج مفاهيم الفن المعاصر مع عناصر التراث. تشمل الخطوات المستقبلية إمكانات العرض المحلي أو الدولي للأعمال الفنية للطلاب أو توظيف الإنتاج البصري النهائي في تطبيقات محتملة لدعم الصناعات الإبداعية في سلطنة عمان بعمل شراكة مع وزارة الصناعة للاستفادة من الحلول الابتكارية للأعمال في مجالات تطبيقية كصناعة النسيج والطباعة وغيرها من التطبيقات ذات التوجه بالبحث عن أعمال فنية أصيلة المصدر تعتمد على التراث المحلي لدعم الابتكار.

قد تقوم الدراسات المستقبلية بالاعتماد على مداخل التفكير وإعادة الصياغة في مناهج مستوى تعليمي أدنى، في جامعات مختلفة في سلطنة عمان، أو أبعد من ذلك، أو تستخدم مداخل فنية معاصرة مختلفة للتدريس حول التراث. إن مدخلا مشابهاً يتم استخدامه في فصل دراسي من الطلاب الذين يدرسون تراثاً مختلفاً من شأنه أيضاً أن يقدم نظرة ثاقبة حول قابلية تكرار هذا المدخل التربوي في البلدان الأخرى ذات المجموعات السكانية المتنوعة. بشكل عام، تفترض هذه الدراسة مدخل التفكير وإعادة الصياغة من الممارسات الجيدة لتعليم التراث. تقترح مزيداً من البحث في مجال تعليم التراث على نطاق أوسع، لا سيما في الاعتماد على الدراسات التراثية والمعاصرة، لمواصلة نشر أفضل الممارسات لمعلمي الفنون العازمين على تدريس تقاليد الفن في الماضي والحاضر، وتطوير الفنون الجميلة والصناعات الإبداعية في بلدانهم.

التوصيات:

- زيادة الأبحاث التي تتناول الفن المعاصر اتجاهاته ومفاهيمه وتقنياته ولغته الفنية.
- الاهتمام بتدريس التراث البصري العماني بطرق جديدة والبعد تكرار تناوله بالشكل النمطي.
- تطوير مناهج تعليم الفنون لتشمل مقررات تجريبية لزيادة مساحة الابداع والابتكار.
- تثقيف الطلاب بمعلومات مسبقة عن الفن المعاصر
- اهمية مواكبة خريج برنامج الفنون بالقسم لسوق العمل وقدرته على المشاركة فنيا وابداعيا.

المراجع

1. <https://mawdoo3.com>
2. <https://ar.wikipedia.org> › wiki
3. <https://mawdoo3.com>
4. <https://ar.wikipedia.org> › wiki
5. Sachedina, A. (2021, September 15). Cultivating the Past, Living the Modern: The Politics of Time in the Sultanate of Oman.
6. Oman Vision 2040 Implementation Follow-up Unit. (2020, December). Vision Document. In <https://www.oman2040.om/index-en.html>. Retrieved March 27, 2023, from <https://www.oman2040.om/assets/books/oman2040-en/index.html#p=20>
7. ¹ : Abu-Zaid. (2013). Contemporary Issues of Fine Arts in the Sultanate of Oman. In The Omani Plastic arts: the reality of practices and approaches of experiments (Vol. 1). The Ministry of Heritage and Culture.
8. ¹ : Meier. (2010). Authenticity and its Modernist Discontents: The Colonial Encounter and African and Middle Eastern Art History. The Arab Studies Journal, 18(1), 12–45. <https://www.jstor.org/stable/27934077>
9. ¹ : Oman Vision 2040 Implementation Follow-up Unit. (2020, December). Vision Document. In <https://www.oman2040.om/index-en.html>. Retrieved March 27, 2023, from <https://www.oman2040.om/assets/books/oman2040-en/index.html#p=20>

١٠. ستولنيتز جيروم (٢٠٠٧) النقد الفني – ت فؤاد زكريا- دار الوفاء – القاهرة
١١. حنفي، عبلة (٢٠١٣) الفن التشكيلي العماني، واقع الممارسة ومداخل التجريب، الندوة التي اقامها المنتدى الادبي في محافظة مسقط بالتعاون مع الجمعية العمانية للفنون التشكيلية، مسقط، فبراير ٢٠١١
١٢. اليحيائية، فخرية. (٢٠١٧). أهمية المتاحف لتعليم الفنون الجميلة في عمان. مراجعة الفن والتصميم، ٥٠ (٠٣)، ١٨٩-١٩٩
١٣. السواح، فراس (١٩٩٣). لغز عشتار الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة، دار علاء الدين، دمشق، ص ١٠
١٤. السمري، ايمن (٢٠٠١). المفاهيم الفلسفية والفنية للحضارات القديمة وارتباطها بفنون ما بعد الحداثة كمدخل للاستلهام في التصوير، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان ص ٢٧، "غير منشورة"
١٥. عطية، محسن (٢٠٠١). الفن والجمهور، دار الفكر العربي، القاهرة ص ١٣٧
١٦. العويلي، أشرف (١٩٩٧)، القيم الجمالية في الفن البدائي وعلاقتها بالتصوير المعاصر كمدخل لتدريس التصوير، "رسالة دكتوراه"، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، غير منشورة، ص ٤١
١٧. الشيخ، محمد. الطائري، ياسر (١٩٩٦). مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، دار الطليعة، بيروت، ص ١٤
١٨. الشيخ، محمد. الطائري، ياسر (١٩٩٦). مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، دار الطليعة، بيروت، ص ١٥
١٩. جمال لمعي: التراث والتعددية الثقافية في فن ما بعد الحداثة، المؤتمر العلمي السابع، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٦٩.

ملحق صور البحث:



شكل ١ طلاب قسم التربية الفنية جامعة السلطان قابوس اثناء اجراء الجانب التطبيقي للتجربة



شكل ٢ أجزاء تفصيلية لوحدة من العنصر التراثي اثناء التجهيز



شكل ٣ طالبات من قسم التربية الفنية جامعة السلطان قابوس يقمن بتفكيك العنصر التراثي



شكل ٤ طالبة تقوم بتجميع التفاصيل المتنوعة للعنصر التراثي بعد تفكيكه وإعادة صياغته في عمل فني جديد

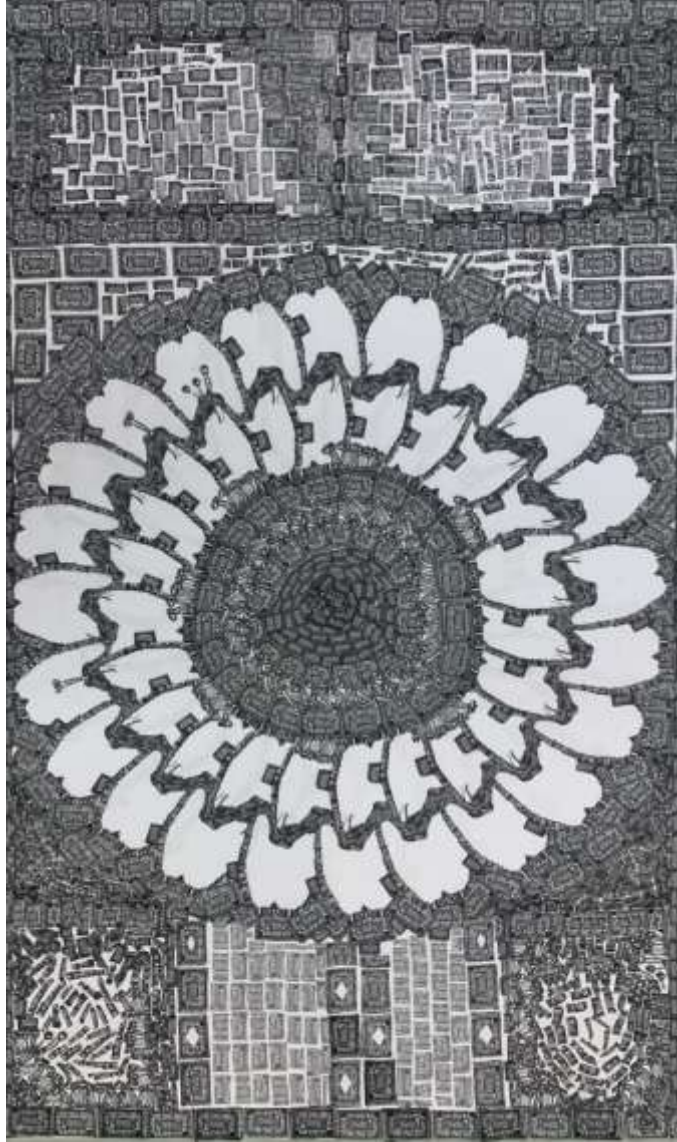
نماذج من اعمال الطلاب:



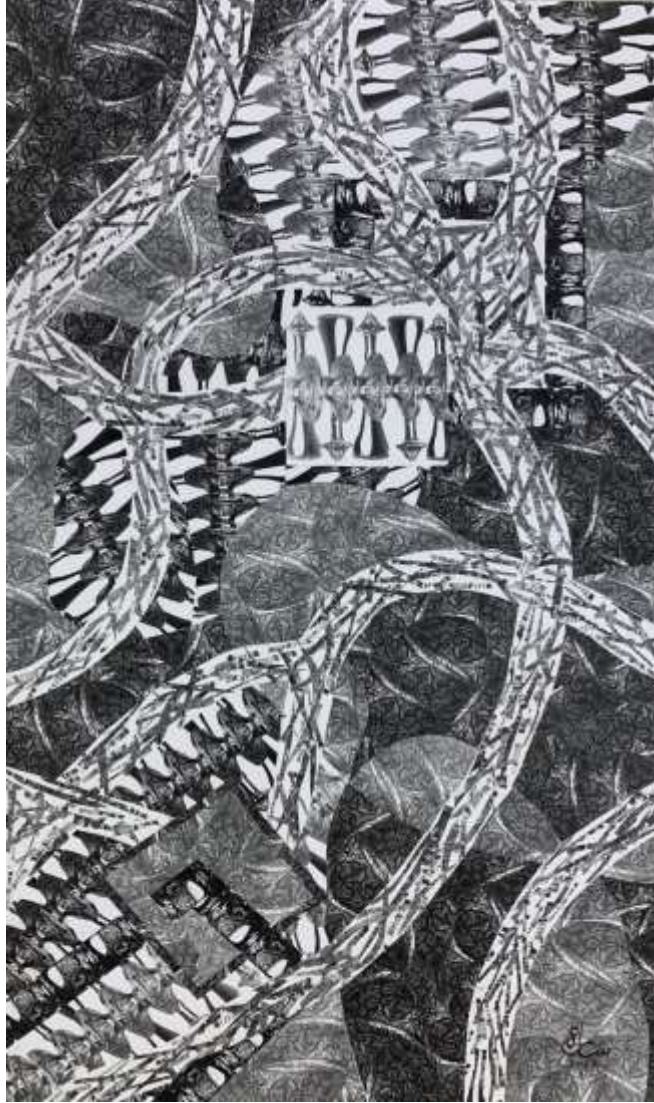
شكل ٦ الازد حمود سالم الهنائي، صياغة نهائية للوعاء النحاسي تصوير كولاج علي ورق ٨٤*١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



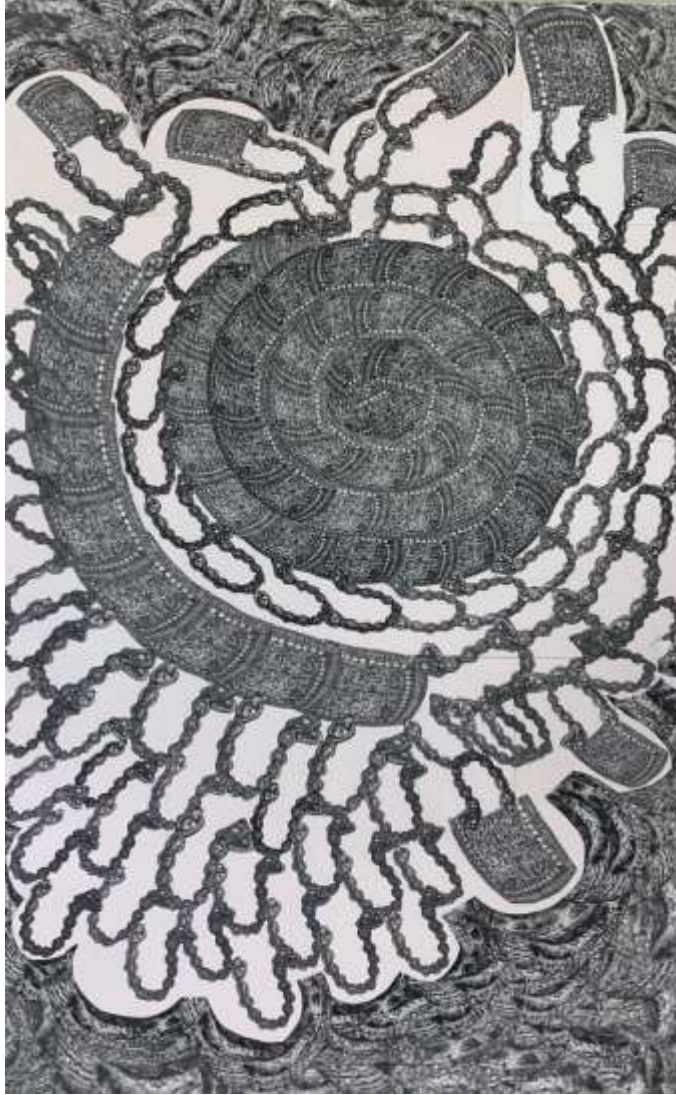
شكل ٧ سعود المعمرى، صياغة نهائية للمبخز (المجمر) القديم تصوير كولاج علي ورق ٨٤ * ١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



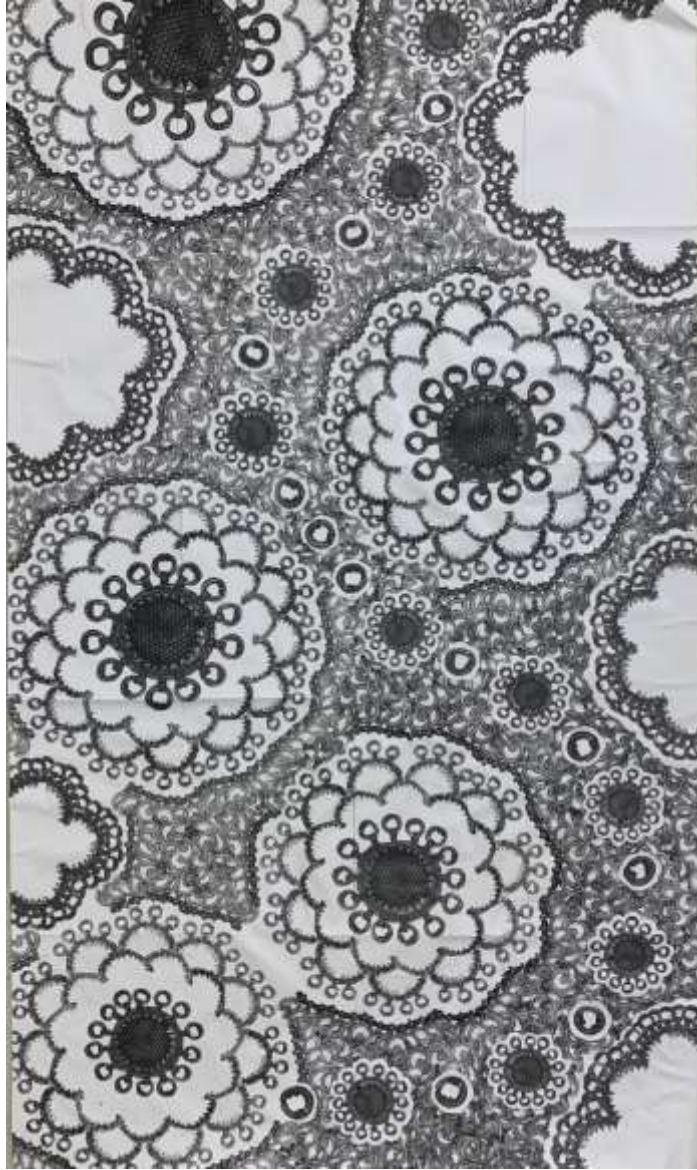
شكل ٨ سولاف البدرية، صياغة نهائية لقلادة فضية، تصوير كولاج علي ورق ٨٤*١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



شكل ٩ سارة الحراصي، صياغة نهائية لمرش العطر، تصوير كولاج علي ورق ٨٤ * ١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



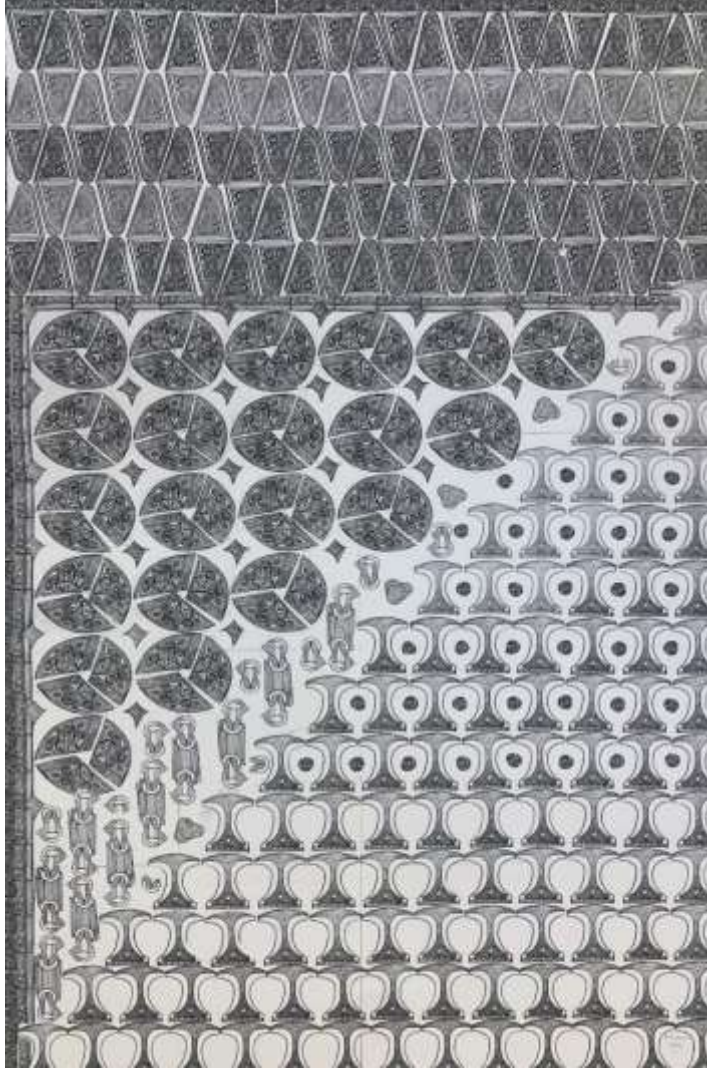
شكل ١٠ اوعد شامس الكيومي، صياغة نهائية للنطل، تصوير كولاج علي ورق ٨٤*١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



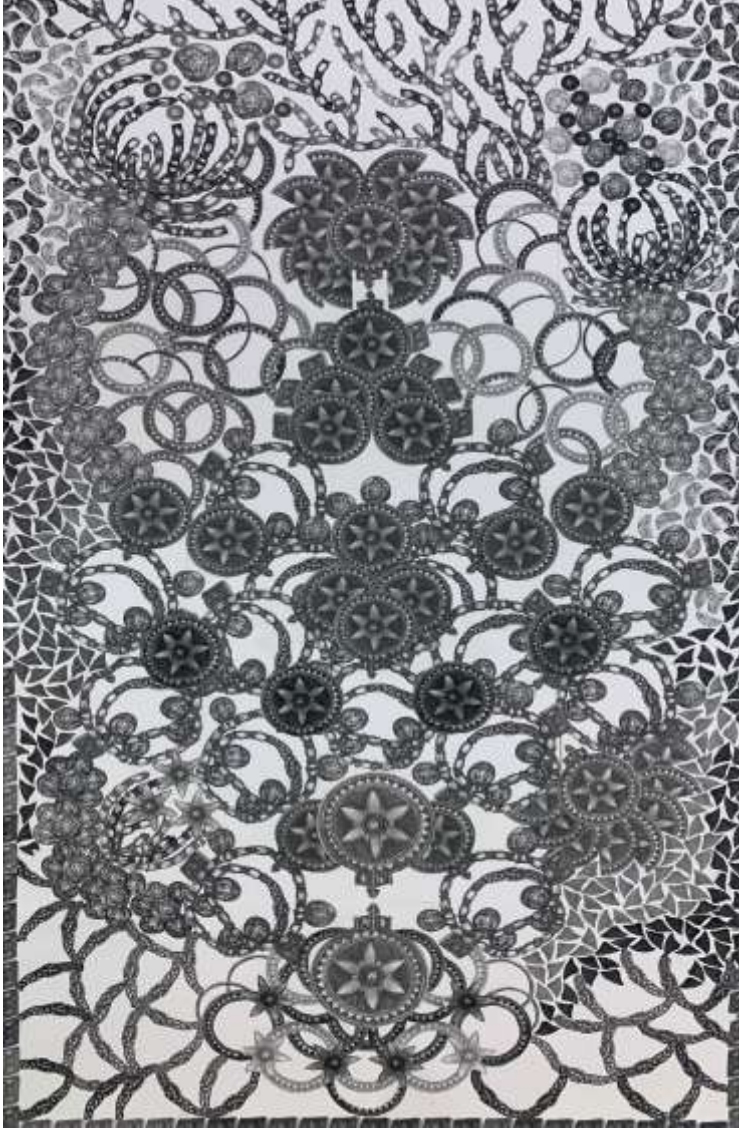
شكل ١١ مروة خميس المانعي، صياغة نهائية للحلية الفضية، تصوير كولاج علي ورق ٨٤*١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



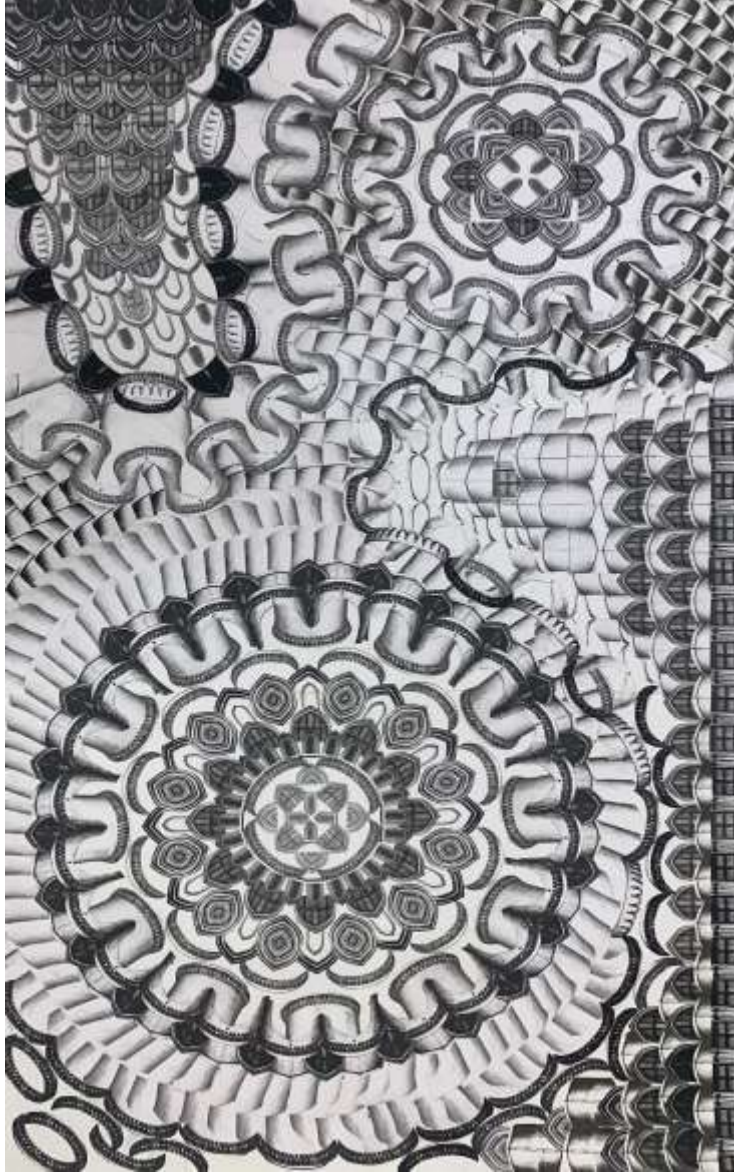
شكل ١٢ سعيد المانعي، صياغة نهائية للعمامة السعودية، تصوير كولاج علي ورق ٨٤*١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



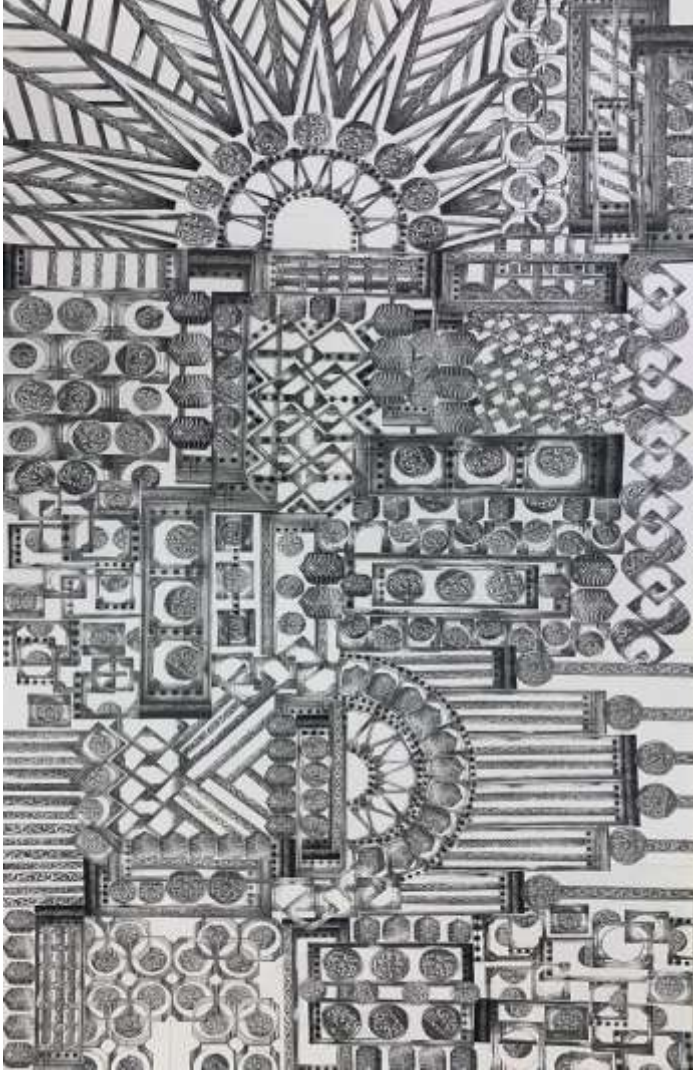
شكل ١٣ المعتمد البلوشي، صياغة نهائية للخنجر العماني، تصوير كولاج علي ورق ٨٤* ١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



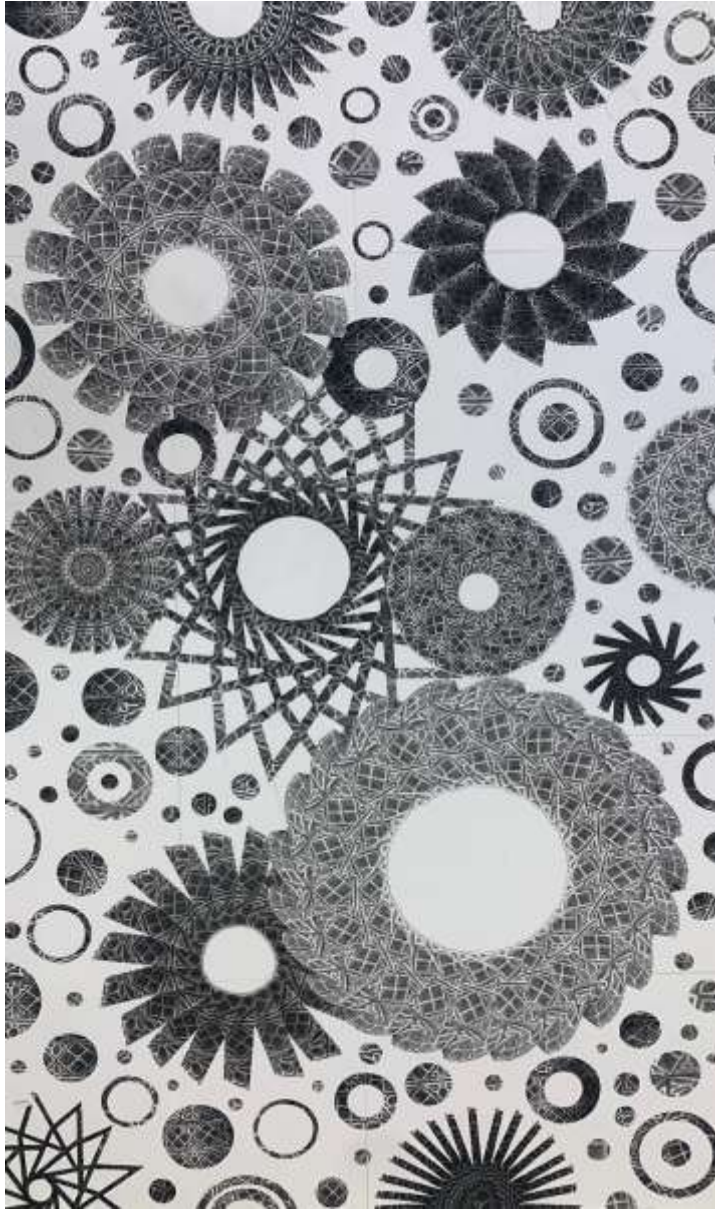
شكل ١٤ ابتسام الهطالية، صياغة نهائية للسمط، تصوير كولاج علي ورق ٨٤ * ١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



شكل ١٥ موزة سالم، صياغة نهائية لمنارة راس الميل، تصوير كولاغ علي ورق ٨٤ * ١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢



شكل ١٦ صافية جمعة الرجبي، صياغة نهائية للباب الخشبي، تصوير كولاج علي ورق ٨٤ * ١٥٠ ابيض واسود ٢٠٢٢



شكل ١٧ زمزم الشمالية، صياغة نهائية لكمة العمانية، تصوير كولاج علي ورق ٨٤*١٥٠* ابيض واسود ٢٠٢٢